مركز كارتر

أغسطس/آب 2016

المناشدات الدينية في بروباغندا التجنيد في داعش

ملخّص تنفيذي

يستخدم التنظيم الذي يطلق على نفسه اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش) استراتيجية معقّدة للإعلام عبر الإنترنت، من أجل تجنيد المجموعات الديمغرافية المستهدفة. وقد أدّى نجاح هذا التنظيم في مساعيه إلى تأجيج النزاعات في سوريا والعراق وليبيا وغيرها، وبات يشكّل مصدر قلق للأسرة الدولية. يسعى مركز كارتر (المركز) التصدي لبروباغندا التجنيد التي يتّبعها داعش من خلال إجراء تحليل معمّق للوسائل الإعلامية التي يعتمدها داعش للتجنيد مثل الفيديوهات، والمنشورات، ومواقع التواصل الاجتماعي. ويتناول هذا التقرير استخدام داعش لآيات قرآنية في 256 فيديو[1] نشرها داعش ضمن حملة البروباغندا المذكورة. وتمّ تحليل طريقة استخدام هذه الآيات من حيث تكرارها، واجتزائها أو استخدامها كاملة[2]، وسواء كانت مدنية أم مكّية[3]. ومن خلال النظر في تحريف داعش للنصوص القرآنية لحصد الشرعية الدينية، يمكن الاستعانة بهذا التحليل كمرجع للقادة الروحيين والمحليين لفهم استراتيجيات التجنيد التي يعتمدها داعش. فهذا الفهم ضروري لتصميم الرسائل المضادّة ودحض التفسير الخاطئ للقرآن الذي يقدّمه داعش لتبرير ممارسات العنف السياسي.

الخطاب الرئيسي ودور الجذب الديني

[1] فيديوهات داعش التي تمّ تحليلها نُشرت في الفترة بين يوليو/تمّوز 2014 ويوليو/ تموز 2015. وهي تمثّل جزءًا فقط من مجموع الفيديوهات التي تمّ ترقيمها وتحليلها.

[2] السورة هي عبارة عن فصل واحد في القرآن؛ والآية هي عبارة عن جملة واحدة ضمن سورة معيّنة

[3] عبارة مكية أو مدنية تشير إلى مكان نزول آية معيّنة من القرآن وزمانه.

تتمحور استراتيجيات بروباغندا التجنيد في داعش حول نشر سرديات مختلفة تهدف إلى تأجيج المظالم الاجتماعية والسياسة التي يعيشها الجمهور المستهدف، حيث تتناول هذه السرديات، من جملة أمور أخرى، الإذلال الذي لحق بالأمة الإسلامية، والرغبة في إذلال الغرب، والدعوة إلى ممارسة الجهاد القتالي والاحتفاء بالجهاديين[4]، وتوفير الخدمات الاجتماعية وإدارة المناطق بفعالية، ونفاق القادة السياسيين والروحيين المسلمين في الشرق الأوسط. وبغضّ النظر عن الخطاب المعتمد، فإن الموادّ التي يعتمدها داعش في البروباغندا تقوم على إساءة تفسير منهجية النصوص الدينية الأساسية وتجريدها من سياقها، بما فيها الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة[5]، في محاولة (أولًا) لبسط سلطتهم الدينية وإعلان قيام الخلافة، و(ثانيًا) لتبرير العنف والإرهاب ولو معنويًا بالقول إنّهما يخدمان هذا المشروع السياسي الأسمى. ومن المهمّ هنا الإشارة إلى أن داعش هو مجموعة سياسية بالدرجة الأولى ولديه أهداف سياسية (من بينها إقامة دولة حديثة وإلغاء الخصوم السياسيين)، حتّى ولو أُدرجت هذه الأهداف في سياق ديني وفي إطار مناشدات فقهية. وهذا الطابع السياسي للأهداف يظهر جليًا في وتيرة الخطابات المختلفة التي يروّج لها داعش. فالخطابات التي تستند بشكل رئيسي إلى أهمية الجهاد، أو المفاهيم الحديثة للشرعية السياسية (مثل القدرة على توفير الخدمات الاجتماعية وإدارة الأراضي)، أو المظالم التاريخية أو السياسية (مثل اتفاقية سايكس–بيكو وانتهاكات الغرب) هي خطابات متكرّرة في البروباغندا أكثر بكثير من الخطابات الدينية أو الفقهية المحضة.[6]

[4] المعنى الرئيسي للجهاد هو "الجهاد الأكبر" ومعناه جهاد النفس للوصول إلى الكمال النفسي والروحي. أما "الجهاد الأصغر" فيعني حماية الإسلام ونشره من خلال الدعوة إلى الإسلام والقتال الهجومي أو الدفاعي. وهذا النوع من الجهاد، أي الجهاد القتالي (الأصغر) هو الذي يروّج داعش له في البروباغدا.

[5] الأحاديث هي مجموعة الكتابات المقدّسة في التقاليد الإسلامية والتي تشير إلى كلّ واقعة (فعل أو قول) نُسبت إلى النبي محمّد ابن عبدالله. وتتألف الأحاديث من مجموعة واسعة من المراجع والروايات المجمّعة خلال القرون القليلة الأولى بعد وفاة النبي محمد.

[6] استنادًا إلى تحليل مركز كارتر لـ 285 فيديو تمّ نشرها في إطار بروباغندا التجنيد واستراتيجية الخطاب الإعلامي على الإنترنت. من المهم الإشارة إلى أن خطابات داعش تتغيّر مع الوقت بحسب عدّة عوامل، بما فيها نوع الجنس، واللغة، والأحداث، والجمهور المستهدف. سيتمّ إصدار منشورات حول هذا الموضع قريبًا.

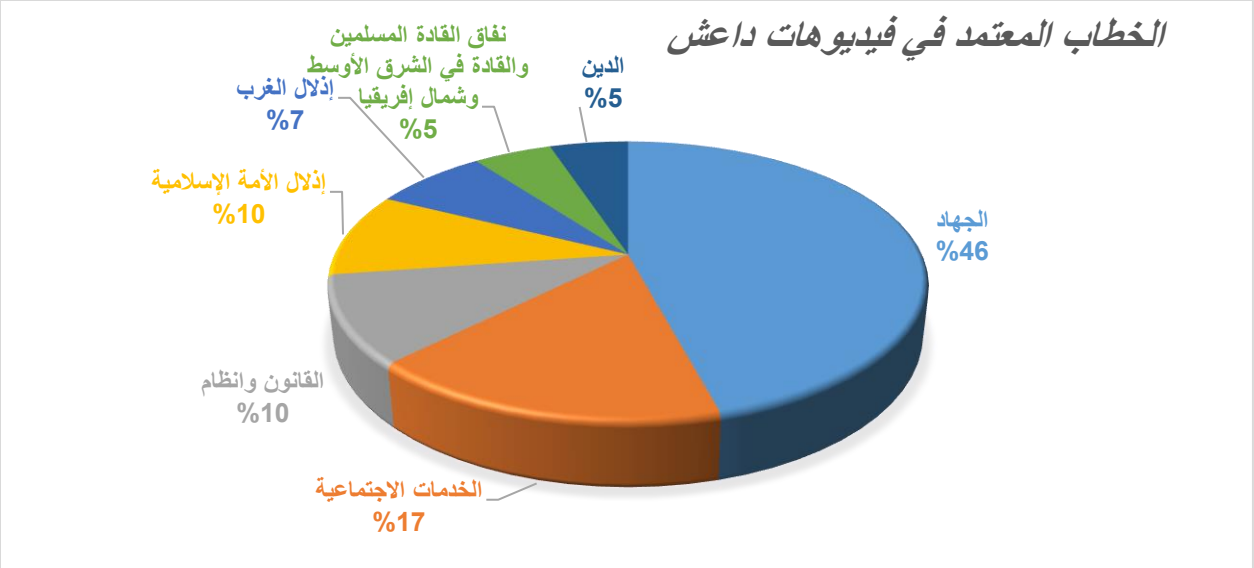

المبرّرات الدينية

بغضّ النظر عن الخطاب المستخدم، غالبًا ما يقترن هذا الأخير بتبريرات دينية عاطفية وانفعالية للممارسات العُنفية. وقد لاقى هذا النهج فعاليةً في صفوف المجنّدين الأجانب الذين لديهم مآخذ على الوضع السياسي المحلي من دون أن يكون لديهم الثقافة الدينية الكافية. وفي الماضي القريب، كان دليل التجنيد الذي أصدرته القاعدة والمُتاح للعلَن يشدّد على استقطاب عناصر لديهم إلمام متدنٍ في الدين[7]. وتظهر استمارة التجنيد الخاصة بداعش أنّ الأغلبية الساحقة (70%) من المقاتلين الأجانب الذين التحقوا بتنظيم الدولة الإسلامية في العام 2014 صرّحوا أنّ مستوى إلمامهم بالشريعة[8] هو "بسيط"[9]. وفي العام 2015 في الولايات المتّحدة الأميركية، تبيّن أن 40% من الأفراد المعتقلين بسبب ارتباطهم بداعش اعتنقوا الدين الإسلامي منذ فترة وجيزة فقط.[10] ولعلّ غياب الثقافة الدينية في صفوف المجموعات المستضعفة هو ما يسمح لداعش بإطلاق بروباغندا

---

[7] أبو عمرو القاعدي، "دورة في فن التجنيد" https://archive.org/stream/ACourseInTheArtOfRecruiting-RevisedJuly2010/A_Course_in_the_Art_of_Recruiting_-_Revised_July2010_djvu.txt؛ تمّ الدخول إليه في 23 أغسطس/آب 2016.

[8] للشريعة عدّة معانٍ رئيسية ذات صلة بالدين والقانون الديني. في الإسلام، تمثّل الشريعة مجموعة الأحكام والتشريعات التي تنظّم حياة المسلمين أفرادًا ومجتمعات، وهي مستمدّة في المبدأ من القرآن والأحاديث الشريفة. وكلمة الشريعة وثيقة الصلة بكلمة "فقه" التي تشير إلى الجدل الأكاديمي في موضوع القانون الإلهي.

[9] براين دودويل، دانيال ميلتون، دون راسل، "القوى العالمية العاملة في الخلافة: نظرة إلى ملامح المقاتلين الأجانب في تنظيم الدولة الإسلامية"، تقرير مركز *محاربة الإرهاب بكلية ويست بوينت*، أبريل/نيسان 2016.

[10] من المهمّ الإشارة إلى أن 23% تقريبًا من المجتمع الأمريكي المسلم هم من معتنقي الإسلام. وبالتالي، من غير المستغرب أن يكون تمثيل معتنقي الإسلام مرتفعًا في صفوف المجنّدين المسلمين الأمريكيين في داعش. أنظر لورنزو فيدينو وسيموس هيوغز، "داعش في أمريكا: من إعادة التغريد إلى الرّقة"، *برنامج حول التطرّف: جامعة جورج واشنطن*، ديسمبر/كانون الأول 2015.

التجنيد. وعدا عن غياب الثقافة الدينية، تشير هذه الأمثلة إلى انعدام التواصل بين الشباب الساخط والقادة الروحيين المسلمين. ففي حين يدين هؤلاء إيديولوجية العنف[11] التي يعتنقها داعش، ما زالوا يعتمدون على أساليب تواصل تقليدية لا تصل إلى المجموعات الديمغرافية الأكثر عرضة لبروباغندا التجنيد التي يمارسها داعش. وتتعدّد المبرّرات الدينية التي يستخدمها داعش في بروباغندا التجنيد عبر الإنترنت، حيث تقوم الرسائل الدينية التي يوجّهها على مواضيع متكرّرة منها الإيديولوجية التكفيرية المتزمتة، والرؤية السوداوية للعالم، وعشق الجهاد القتالي والشهادة. ولأن عادة تكفير المسلمين واعتبارهم في حكم المرتدّين تم التخلي عنها في مراحل مبكرة من الدعوة الإسلامية، تقوم بروباغندا التجنيد في داعش على استعمال التكفير بشكل متكرّر فتقسم العالم إلى معسكريين متنافرين هما دار الإسلام ودار الحرب. وليست هذه التصنيفات الشرعية مفصّلة بالكامل في القرآن[12]، ويُراد منها تكفير المسلمين الذين لا يوافقون على فهم داعش للإسلام واعتبارهم أعضاء في دار الحرب، لا بل استخدامهم كعبرة في البروباغندا. ويتضمّن هذا المعسكر المسلمين الغربيين (أمثال النائب في الكونغرس الأمريكي كيث إليسون والعلّامة المسلم حمزة يوسف) ولكن أيضًا المسلمين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. فعلى سبيل المثال، كفّرت مجلة دابق في العدد 14 منها الصادر في أبريل/نيسان 2016 الإخوان المسلمين وقائدهم الحالي رجب طيب أردوغان، والمجموعات الإسلامية في تونس، وقائد في الشرطة المصرية لقي حتفه جرّاء عملية إرهابية نفذّها داعش في الجيزة.[13] وفضلًا عن ذلك، تشدّد بروباغندا التجنيد في داعش على ضرورة أن يهاجر[14] المسلمون المغتربون (أداء الهجرة) إلى دار الإسلام من باب الواجب المعنوي. فاستنادًا إلى حجج متعلّقة بانتهاكات الغرب والإذلال وفساد قادة المسلمين، يخلُص داعش إلى حتمية الهجرة إلى أرض داعش في غياب أي حلّ بديل. وبذلك يربط خطابه بنشأة الإسلام وبخطاب المسلمين الأوائل. ويتعمّد داعش تقديم صورة مغلوطة عن مثل هذه المفاهيم الدينية التقليدية وعن مفهوم الجهاد لتبرير ممارساته السياسية العنفية واكتساب الشرعية الدينية ضمن صفوفه وضمن صفوف المجنّدين المحتملين.

---

[11] أنظر، على سبيل المثال، رسالة مفتوحة من 100 قائد ديني مسلم إلى قائد داعش أبو بكر البغدادي: http://www.lettertobaghdadi.com/. آخر دخول في 23 أغسطس/آب 2016.

[12] وثمّة فئة شرعية إضافية هي دار العهد، وهي مفصّلة في الشريعة الإسلامية وتتألف من معظم بقاع العالم. ولا يستخدم داعش هذه الفئة في البروباغندا.

[13] مجلة دابق، العدد 14، "الإخوان المرتدّون". يستخدم داعش في خطابه مصطلح مرتدّ للإشارة إلى أعداء المسلمين.

[14] بعد التعرّض إلى الاضطهاد الشديد في مدينتهم مكّة، أوحى الله إلى محمّد وأصحابه الأوائل بالهجرة إلى يثرب. ومع هجرة محمّد والمسلمين الأوائل في سبتمبر /أيلول سنة 622 بدأ التقويم الهجري وتغيّر اسم يثرب بشكل نهائي إلى مدينة النبي أو المدينة بشكل مختصر.

استغلال النصوص الدينية

يُراد من استخدام الآيات القرآنية في بروباغندا التجنيد في داعش بسط السيطرة واكتساب الشرعية الدينية لدولة الخلافة الإسلامية التي أعلنها داعش. ولفهم هذه الاستراتيجية في استخدام القرآن، قام المركز بتحليل 256 فيديو أصدرها داعش خلال فترة 12 شهرًا ممتدّة من يوليو/تمّوز 2014 إلى يوليو/تمّوز 2015. وقد نُشر 30% من هذه الفيديوهات (78 فيديو) من قبل قنوات إعلامية عالمية (قناة الحياة، قناة الفرقان، إلخ)، ونُشر الباقي (178 فيديو) على يد قنوات إعلامية محلية تابعة للمحافظات. وقد قام المركز بترميز الفيديوهات بحسب الآيات القرآنية التي تبثّها، وبفهرستها إلى آيات مكّية ومدنية، ممّا يشير إلى محتواها الديني ومكان نزول السورة وزمانه.[15] كذلك حدّد المركز مدى تكرار آيات معيّنة – لمعرفة الآيات المفضّلة لبروباغندا داعش – وما إذا تمّ الاستشهاد بها بالكامل أم بأجزاء منها. ويتّضح أن بروباغندا التجنيد في داعش تعتمد بشكل مكثّف على السور المدنية. والسور المدنية هي عمومًا التي نزلت على النبي محمّد في مرحلة لاحقة من حياته وبعد الهجرة إلى يثرب، وهي التي تتطرّق إلى الحياة الاجتماعية السياسية للمجتمعات الإسلامية، مثل الميراث والحرب. أما السور المكّية فهي التي نزلت على النبي محمّد خلال فترة مكوثه في مكّة، وهي أقصر عمومًا وتتعلّق بأمور كونية أكثر، مثل توحيد الله وعدم الشرك به، والعدل، والآخرة. وبالتالي تركّز الآيات المدنية على المسائل الحياتية في حين تركزّ الآيات المكية على العقيدة أكثر. والواقع أن بروباغندا التجنيد في داعش تقوم على استخدام الآيات المدنية أكثر بمرّتين من الآيات المكية، حيث استُخدمت 151 آية مدنية في الفيديوهات الـ 256 التي تمّ تحليلها، مقابل 78 آية مكية. وعلى سبيل المقارنة، فإنّ ثلثي السور الـ 114 في القرآن هي سور مكّية. وبالتالي، من الواضح أن داعش يستخدم النصوص القرآنية بشكل انتقائي لاتناسبي في البروباغندا عبر الإنترنت. ولكن ذلك غير مفاجئ. فخطاب داعش الديني يهدف إلى الربط ولو رمزيًا بين الخلافة التي أعلنها ونشأة مجتمعات المسلمين الأوائل. وإن استخدام الآيات المدنية يسهّل هذا الربط ويساعد على سدّ الفجوة الزمنية بين الماضي والحاضر في أذهان المجنّدين المحتملين.

[15] تصنيف سور القرآن إلى مكية أو مدنية هو عمل اتفق عليه العلامة المسلمون في العصور الكلاسيكية لتسهيل عملية تفسير القرآن التي كانت تستند إلى مكان نزول الآيات وزمانه، أو إلى "أسباب النزول".

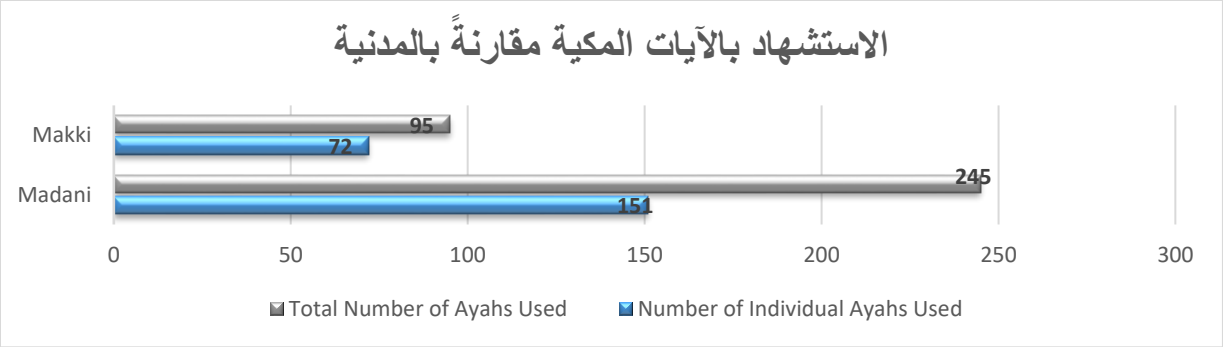

عند النظر في مدى تكرار الآيات المكّية والمدنية، نجد أن 26% فقط من السور المكية تكرّرت في العيّنة الإحصائية التي حلّلناها، مقابل 57% من السور المدنية. وبالنسبة إلى التكرار في الفيديوهات الـ 256، يتّضح أن بروباغندا داعش تكرّر استخدام الآيات المدنية أكثر بمرّتين من الآيات المكية (أنظر الرسم البياني أعلاه).

وكما تُستخدم الآيات المدنية بشكر متكرّر أكثر من المكية، تتكرّر مجموعة صغيرة من الآيات بشكل كبير في بروباغندا التجنيد في داعش، وتحديدًا ثلاث مرّات أو أكثر في العيّنة. وفي هذا المستوى الإحصائي أيضًا، تطغى الآيات المدنية.

الآيات المستخدمة بشكل متكرّر جدًا في بروباغندا التجنيد في داعش				
نوع السورة	**اسم السورة**	**رقم السورة**	**رقم الآية**	**عدد مرّات التكرار**
مدنية	**التوبة**	9	14	7
			111	4
	الحجّ	22	3	4
		8	38	4

	الأنفال		46	4
	النساء	4	75	4
	آل عمران	3	102	5
مكّية	**يوسف**	12	21	4
			40	3
	الأعراف	7	128	3

من بين الآيات العشر الأكثر تكرارًا أعلاه، ثلاثٌ هي مكية وسبعٌ مدنية. وثمّة أربع آيات (4:75؛ 8:38؛ 9:14؛ 9:111) تشير بشكل واضح إلى القتال في سبيل الله في سياق سلسلة المعارك التي خاضها المسلمون الأوائل ضدّ أهل مكّة. والواضح أن هذه الآيات تُستخدم بهدف الربط رمزيًا بين المشروع السياسي العنفي لداعش ونجاح النضال الذي خاضه المسلمون الأوائل إلى جانب الرسول. وتشجّع خمسٌ من الآيات المبيّنة أعلاه (8:46؛ 3:102؛ 12:21؛ 12:40؛ 7:128) على الإيمان بالله، إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الإشارة إلى الأنبياء السابقين. وبذلك، يحاول داعش شرعنة أعماله، من خلال استخدام النصوص القرآنية لشرعنة ممارساته العنفية القبيحة. وتشكّل الآية الأخيرة (22:3) تحذيرًا ضدّ الجحود.

كذلك يستخدم داعش النصوص القرآنية لارتداء عباءة النبي محمد ومخاطبة المسلمين على لسان نبيّهم. وفي الفيديو المعنْوَن "*No Respite*" والصادر في ديسمبر / كانون الأول 2015، يتلو أحد مقاتلي داعش آيات مختارة من سورة يونس (10:71) وهو يظهر بشخصية نوح ويعظ من خلال النصوص ويتحدّى المستهزئين

والمجددين. فمن خلال الرجوع إلى شخصيات تاريخية مذكورة في القرآن، يلبس داعش عباءة النبوّة فيقضي على أي تعارض بين مشروعه السياسي والأحداث التاريخية. كما تقضي البروباغندا بتحضير الجمهور تدريجيًا قبل الاستشهاد بالآيات القرآنية، فغالبًا ما يقوم أحد ممثّلي تنظيم الدولة الإسلامية بتفسير الآية قبل الاستشهاد بها بهدف تبرير عمل معيّن أو شرعنته. فمثلًا، الآية 67 من سورة التوبة (9:67) التي نزلت بعد تسع سنوات من الهجرة إلى المدينة وسط التهديدات بغزو البيزنطيين، إنّما تحذّر المنافقين والمنافقات الذين انضمّوا إلى الدعوة ثمّ تركوها في أحرج الأوقات. وقد نشر داعش فيديو في فبراير/شباط 2015 بعنوان " We Will Conquer Rome" يظهر إعدام 21 قبطيًا مصريًا، حيث يظهر في الفيديو مقاتل مسلّح يستشهد بالآية 67 من سورة التوبة (9:67) لتبرير الإعدام. وقبل الاستشهاد بالآية، يفسّرها هذا المقاتل فيقول إن الإعدام عقاب المنافقين. ويتجاهل داعش السياق التاريخي للآية ويستغلّ هذا النص الديني لشرعنة القتل.

وليس هذا التفسير المشوّه الذي يقدّمه داعش سوى تعتيم على الفهم التقليدي الشائع لهذه الآية، وهو بذلك يحرّف تفسير القرآن والتاريخ الإسلامي لمنفعة خطابه السياسي.

يستخدم داعش النصوص القرآنية في البروباغندا بهدف ترسيخ سلطته الدينية وإضفاء الشرعية الدينية على مشروعه السياسي، لإعادة إحياء الخلافة العصرية. ويتمحور الخطاب الديني لداعش حول مفاهيم أساسية مثل الهجرة والتكفير وتقسيم العالم إلى معسكرين، والجهاد الذي تمّ تجريده من سياقه وتبسيطه وتيسيره من خلال الاستشهاد بآيات قرآنية مجتزأة. فالاستشهاد بالنصوص القرآنية يُراد منه فقط دعم خطاب داعش الموجّه إلى لامجموعات الديمغرافية المستهدفة. ومن خلال استخدام الصور والاستشهاد بالآيات، يشبّه داعش وحدة الإخوان والأمة في أرضه بالمسلمين الأوائل في المدينة. وبذلك يحرّف معنى الهجرة والجهاد في محاولة لربط مفهوم الخلافة بنشأة الإسلام، فيتوجّه إلى الشباب بالقول: "تعرّض المسلمون الأوائل للاضطهاد والمذلّة مثلكم، وأُجبروا على الهجرة مثلكم. فكان عليهم أن يدافعوا عن الإسلام كما نفعل نحن. لقد بنوا مجتمعًا مثاليًا، كما نفعل نحن. انضمّوا إلينا". وأصبحت الآيات القرآنية جزءًا لا يتجزأ من الخطاب العام لداعش الذي يعيد إلى أذهان جمهوره زمن الاضطهاد ويدعوهم إلى الصمود كما فعل نوح. أي أن الماضي يصبح جزءًا من الحاضر والمستقبل، ما يعني الدخول في حالة حرب مستمرة.

الخلاصة

من خلال تحريف النصوص لأغراض الإستقطاب والتجنيد، يسعى داعش إلى إظهار رؤيته لعالم مقسّم إلى دار الإسلام ودار الحرب. وهو يدّعي أن هذا التقسيم قائم أساسًا، إلّا أنّ خطابه الحالي وممارساته العنفية تفضحان محاولاته الهادفة إلى إقامة مثل هذا التقسيم. ولمواجهة خطاب داعش، يجب البدء بتدابير ترفض تقسيم العالم إلى مَن هم "معنا" ومَن هم "ضدّنا". فعندما تستخدم شخصيات في الغرب هذه اللهجة، فإنّها تهمّش المسلمين المهمّشين أساسًا وتغذّي خطاب داعش التجنيدي وتثبت صحّة تقسيمهم للعالم. من المهمّ فهم استراتيجية داعش في استخدام النصوص الدينية، فهذا يساعد في اعتماد السرديات المضادةّ وتقديم نموذج بديل.

وإن تنفيذ السياسات المجتمعية الوقائية سيزوّد العلامة والقادة المسلمين الموثوقين بالتحاليل والأدوات الرقمية المطلوبة. ويجب تقديم هذا التدريب لقادة محليين بهدف تزويدهم بالأدوات الضرورية للإضاءة على المفاهيم المغلوطة في خطاب داعش ومدّ جسور التواصل مع الشباب الساخط. كما من الضروري أن يعمل العلّامة والقادة الروحيون والمجتمعيون داخل مجتمعاتهم لزيادة الثقافة الدينية وتحديدًا في صفوف الشباب. فحقيقة الأمر هي أن بروباغندا داعش تعوّل على الجهل بالمسائل الدينية. وعلى القادة المسلمين الدخول في جهاد لمحاربة أفكار داعش ومفهومه للجهاد، وإغلاق المجال أمام أي تفسيرات مغلوطة للقرآن أو التاريخ الإسلامي من خلال تقديم الحقائق والتأويلات الصحيحة. بمعنى آخر، يجب الاستشهاد بالنصوص القرآنية والتاريخ الإسلامي لقطع الطريق أمام داعش. فتشير سورة البركة مثلًا (2:256) أن "لا إكراه في الدين"، وتشير سورة المائدة (5:32) إلى أن "مَن يقتل نفسًا من غير نفس... فكأنما قتل الناس جميعًا". وعليه، سيكون على القادة الروحيين والمجتمعيين أداء دور حاسم في توفير السلطة المعنوية والدعم لمجتمعاتهم. ولعلّ فهم القرآن وتنوّع الأمة الإسلامية بشكل كامل ودقيق هو الطريقة الأمثل للتحصّن ضدّ بروباغندا داعش الكاذبة.

The Carter Center
One Copenhill
453 Freedom Parkway
Atlanta, Georgia 30307

www.cartercenter.org